علم اجتماع الرأي العام
مقدمة
تفترض عبارة "راي عام" حتما الحريّة والديمقراطية فلا حديث عنه في الأنظمة الدكتاتورية، ولا راي عام حيث يوجد الإجماع حول موضوع ما كالقول بان الرأي العام هو ضد الإجرام إنما يوجد رأي عام حيث هناك أفكار مضادة له و تقاومه لدى أقلية معبر عنها.
قد تكون عبارة رأي عام استعملت لأول مرة في بريطانيا وبينما يقول بعض ان ذلك كان في فرنسا ايام لويس 16(في القرن 18.)
يقول افلاطون على لسان سقراط في" المحاورات" ما معناه" :ماذا يقول الأثينيون عني، انأ الذي أمضيت حياتي أعلّم الناس احترام القيم والنظم، لو أقدمت على الهرب من وجه العدالة الأثينية ؟."
الرأي العام كان موجودا وكان يهم المعنيين به ولو كان وجوده محصورا في من يعرفون والقادرين على التعبئة، وكانوا قلة.
في كتاب الأمير يقول" Machiavel : أن حب الشعب للحاكم أبقى وأقوى من القلاع
يقول Paul Ourliac في كتابه L'opinion *publique en France du 13e au 18e siècle*, Paris. P.U.F. 1957
((يجب الاعتراف بأن فن المحاورة هذا اكتمل في صالونات القرن الثامن عشر. حيث اصبحت هذه الصالونات مختبرات للرأي وفي الوقت نفسه مكاتب فكر)) ويقول جورج واشنطن ما معناه": أن على من يتولّى السلطة أن يعير مطالب الناس بالغ الأهمية ولا يهمل تيّارات الرأي العام (".كتاب"رسائل جورج واشنطن.)"
في نفس الكتاب :يقول Paul Ourliac : ((... والآن فإن رأي الصالونات والشوارع هو ما سيملي على لويس 16 أتحاذ التدابير غير المتماسكة. حينئذ اتضحت قوة الرأي للعيان. كان هناك حديث متكرر عن وزارة للرأي ، عن حكومة رأي - فالرأي هو الذي يصنع الوزراء ويطيح بهم)) ص61
ومع ذلك، لم تنطلق الدراسات العلمية إلا حوالي بداية القرن العشرين نذكر منها:
Gabriel TARDE, *L'opinion et la foule*, Paris, P.U.F, 1919 (1989),184P.
A.V.DICEY , *Lecture sur la relation entre la loi et l'opinion publique en Angleterre durant le 19e siècle*, 1919
" إن الرأي هو اعتقاد ... قد يكون صحيحا إنما ليس هو بمعرفة ...قد يكون كذلك... اذا تم التثبت العلمي من هذا الاعتقاد يصبح معرفة .و عبارة" عام كصفة هي عكس خاص . وقد تعني أيضا": غير سرّيّ معروف من الجميع، كخبر تعمم مثلا.
يختلف " الرأي " عن "الموقف "برغم تقاربهما . فالرأي تعبير شفويّ مباشر أما الموقف فهو نزوع ثابت إلى حد ما إلى الإجابة باتجاه معيّن. ان التعابير عن الرأي تعكس موقفا .يكون الموقف أكثر ثباتا في الوقت قابلية للإجابة باتجاه معين، بينما يكون الرأي نتيجة تفكير مرتبط بمعرفة أو معلومات متوفرة

قبل أن يتشكل للفرد رأي حول موضوع ما فهو يتبادل أفكاره ضمن محيطه الصغير: ونتيجة هذا التبادل يتكون عنده الرأي. **هذا يعني ان تكوين الرأي يتم في محيط اجتماعي** – بيئة اجتماعية .

تعريف الرأي العام ؟

لا يوجد تعريف واحد متفق عليه إنما هناك إجماع على أنه رأي صريح، علني، شفهي ينتشر بسرعة . غالبا ما يقصد به الرأي الوطني لكن هناك أيضا رأي عام عالمي، وما دونه.

تعريف André Lalande الرأي العام: "حالة فكرية تكمن في الاعتقاد أن ادعاء أو تأكيد أو طرح هو صحيح، ولكنه يحتمل الخطا."

تعريف Jean Stœtzel : "الشعور السائد داخل جماعة اجتماعية، يرافقه، بشكل شبه واضح، لدى الأفراد، انطباع بأنه شعور مشترك فيما بينهم"

نظرة على تطوره ثم خصائصه .

حتى القرن19 سعت أكثرية الدروس المخصصة للرأي العام تحصل إلى استخراج القواعد . وبتقدم العلوم الاجتماعية أصبح موضوع الرأي العام في نهاية القرن 19اكثر أهمية بالنسبة للباحثين .ومع ظهور إلزامية التعليم وانتشار وسائل الإعلام والمعرفة أصبح الرأي العام نوعا من السلطة لم يعد باستطاعة الحكومات تجاهله. ومع بداية القرن العشرين حاول الكثيرون درس وتحليل الرأي العام كموضوع سوسيولوجي أكثر مما هو فلسفي سياسي.

كيف تطوّر تكوين الرأي العام في اوروبا في القرون الثلاثة الأخيرة:

الرأي المستنير XVII-XVIII siècle Opinion éclairée

مكان التعبير عنه cafés Salons, clubs, حيث كان للمثقفين دورا أساسيا في تكوينه من خلال الأحاديث والكتابة

الرأي الصارخ قرن 19: مكان التعبير عنه المظاهرات، ورسائل القراء في المدن، لا دور للأكثرية الصامتة، انما كان للصحف الشعبيّة

الرأي المستفتى 20eS Opinion sondée : مكان التعبير عنه الإنسان في وحدته الفردية أو العائلية، انه رأي الأكثرية من المواطنين، رأي شامل وديمقراطي، رأي للشعب

خصائص الرأي العام الأساسية:

- للرأي العام علاقة بموضوع معروف وهام لدى الجميع، غالبا مع الشعور بأن الغير بنفس الاتجاه (مشاركة).
- الرأي العام يتم التعبير عنه بمختلف الاقنية الاجتماعية.
- الرأي العام تكوين اجتماعي.

Gabriel De TARDE 1843-1904 أول من فكر في موضوع الرأي العام في كتابه الموسوم *L'opinion* et *la foule* من أهم ملاحظاته ان الرأي العام ليس أصيلا ولا مخترعا بل هو مكتشف

ثم جاء Walter Lippmanns *public opinion* 1955 أول دراسة تحليلية حول وسائل الإعلام في أمريكا.

تكوين الرأي العام وأنواعه ودور الزعماء والقادة في تكوينه

إن الموضوع الأهم في عملية تحليل الرأي العام هو معرفة ما إذا كان خلاصة ديمقراطية أو إنه نتيجة مبنية ومدارة من" أعلى"؟ أي معرفة ما إذا كان الرأي العام حقيقيا وهو ما يرفضه

بورديو. هل الأفراد قادرون على تكوين آراء مستقلة واتخاذ قرارات في موضوع الشأن العام؟ او إنهم يخضعون لتأثيرات خارجة عنهم؟
يجب تحديد" مكان "الرأي العام، أي مصدر الأفكار ودراسة كيف وبأية قنوات ينتشر.

الشائعة.

دور الشائعات في تكوين الرأي العام هام جدا. فهي سريعة الانتشار وشكل نشيط من أشكال التخاطب الاجتماعي. تعبر عن قلق وخوف جزء كبير من الجمهور تجاه التلاعب بالإعلام . لا تقنع إنما تؤكد ما يكون الجمهور على استعداد لتصديقه. يساعد الغموض يساعد كثيرا على ولادتها، خاصة عندما لا يستطيع الأفراد فهم ما تتناقله وسائل الإعلام. وقد تتأكد الإشاعة من مصدر موثوق متخصص، وعندما يتم تكذيبها تبقى إشاعة .
غالبا ما تدور الإشاعة حول موضوع غير مؤكد، غير مثبت، وعادة ما تتناول موضوعا يهم جمهورا واسعا. لذا تعتبر نتيجة جهد جماعي لمعالجة وضع مقلق، لا تعالجه المراجع المختصة. في أوقات الأزمات يميل الناس الى تصديق الإشاعات خاصة لأن مصدرها "قريب"
غالبا ما نجد الإشاعة عندما يكون الجمهور معنيا أو مهتما بحدث ويكون الإعلام أو الشرح الرسمي غائبا كليا أو جزئيا. فكلما زادت أهمية الموضوع وغموضه زادت قوة الإشاعة تضخم الشائعة التفاصيل عند كل عملية نقل للخبر وتفعل فعلها كلما وصلت إلى عدد أكبر من الأشخاص. تأتي زيادة التفاصيل فتسير الشائعة ككرة الثلج .

وسائل الإعلام غير الجماعية.

توجد اتصالات إعلامية بين الأفراد تلعب دورها أيضا في تكوين الرأي العام لذا يجب أخذ بعين الإعتبار العلاقة بين فرد وفرد.
إن الإضرابات والإضطربات والتجمعات في بداية القرن 20 دفعت العلماء الى دراسة السلوك الجماعي، اتجاه ساهم فيه أيضا انتشار وسائل الإعلام الجماهيرية. وكان نوع من التجاهل لانتقال المعلومات والتأثير بين فرد وفرد . لكن منذ الثلاثينات، مع تطور علم النفس واكتشاف تقنية سلّم المواقف في الدراسات العلمية للسلوك وابتكار وتطوير البحث الإستماراتي أصبح ينظر إلى الرأي العام كظاهرة نتيجة الآراء الفردية. وعلى كل حال ليس لعدد المساهمين في الحوار أهمية فائقة إنما المهم هو تبادل المعلومات بين المتخاطبين، أيا كانت القناة.

المحادثة.

في نهاية القرن 19 يعود الفضل في أول دراسة للتحادث إلى Gabriel De TARDE . كان طارد مقتنعا ان الرأي العام على صلة وثيقة بالمحادثة . قال ": ان المحادثة في كل وقت، وحاليا السبب الأساسي للمحادثة، أي الصحافة، هما أهم عوامل الرأي الكبيرة" بمحادثة "هو يقصد كل حوار دون فائدة مباشرة وآنية . .. من النادر أن تكون المساواة في التأثير بين الأطراف تامة، نرى الواحد يتكلم أكثر من الآخر ويقنع أكثر من الآخر.
هدف المحادثة متنوع: التعليم، القيادة، التوجيه، التشكيك، التساؤل ...وكذلك موضوعها: لغوي، سياسي، ديني، اقتصادي، رياضي ...و رأى طارد أن الصحافة تقدم مواضيع متعددة للمحادثة. فعندما يكون تكوين الرأي بطيئا وكذلك تغييره فهذا يعني أن المحادثة قليلة.
يقول طارد حرفيا": حيث يكون الرأي ضعيفا يعود السبب إلى المحادثة غير الحيوية .حيث يكون الرأي قويا يكون ناتجا عن محادثة قوية. حيث يكون الرأي متطرفا، متصلبا، استبداديا،

يكون المتحادثون ضحية هوس جماعي .وبالعكس، حيث يكون الرأي ليبراليا تكون المحادثات متنوعة حرّة مشبعة بالأفكار العامة، أي غير متطرفة."
ويؤكّد طارد أن تطور السلطة يفهم على ضوء تطور الرأي الذي يفهم بدوره على ضوء تطور المحادثة غير أن السلطة لا تستطيع العمل دون الصحافة فهي بحاجة إليها لنشر أعمالها. المحادثة ضرورية من أجل الشهرة، والزيادة فيها. فالمحادثات الخاصة في المقاهي والصالونات والنوادي والمحلّات ...هي مصانع السلطة الحقيقية.
تختلف المحادثات بحسب طبيعة المتحادثين ودرجة ثقافتهم ووضعهم الاجتماعي وأصلهم القروي أو المديني وعاداتهم المهنية ودينهم كما تختلف فيما بين المتحادثين من حيث مواضيعها، لهجتها، وقتها وسرعة الحديث
يلاحظ غبرايل طارد أن المحادثين يتكلمون بسرعة أكبر كلما كانوا أكثر تحضرا. لاحظ الكلام البطيء عند العرب وشعوب أخرى متخلفة."
يميّز طارد بين **المحادثة – الصراع، والمحادثة – التبادل** فيقول بتطور الثانية على حساب الأولى وأنّ اللغة المشتركة والمعلومات والأفكار المشتركة وأوقات الفراغ ...كلها شروط ضرورية للمحادثة.
إذا كان الفرد برأيه الخاص ومواقفه وسلوكه يعتبر في أساس الرأي العام لكن الرأي العام عملية اجتماعية في الجوهر. تفترض المحادثة مع الغير تبادل معلومات مشتركة حيث يجمّع الأفراد معلومات كثيرة مم يسمح باتضاح النظرة حول تفكير الآخرين.
تلعب المحادثة دورا "أساسيا "في عملية الإقناع وان هذه العملية هي في صلب الأبحاث حول الرأي العام. والإقناع مسلسل اجتماعي ورمزي. تتم محاولة تغيير آراء الآخر بتبادلات رمزية (الكلمات) من الممكن إكمالها بوسائل قمعية لتغيير تصرف الآخر. اي انه حتى ولو تغيّر أ ري الآخر فهذا أمر لا يكفي، يجب أن يتبع ذلك تصرّف معيّن perlocutoire (تغيّر رأي الآخر سياسيا يتبع عمليا بالتصويت المناسب أثناء الإنتخابات).
عاملان اساسيان للإقناع وهما : الكفاءة(كفاءة المتكلم الذي يحاول إقناع الغير) والإيحاء بالثقة.
يكون انتشار الرأي حسب غبريال تارد بالعدوى La contagion والتقليد imitation" أو النقل copiage وهو" ميل طبيعي عند الإنسان. فبمجرّد أن يشعر الفرد أن فكرة ما هي سائدة لدى المجموعة فأنه يؤيدها على حساب أفكاره الخاصة وذكائه لماذا ؟ ربما لأنه يخشى من محاكمة المجموعة القاسية (تقسو على مخالفها.)
عندما ندرس الرأي العام نرى دوما وحكما قاعدة" الأكثرية "أو كما يسميها توكفيل استبداد الأكثرية. إن رأي الأقلية لا يصمد تحت ضغط الأكثرية وسكوتها يقوي الاتفاق العام..
في المحادثة ضمن المجموعة تؤثر الآراء في الغير وتتأثر به. فبالرغم من تأثير وسائل الإعلام الجماعية في الرأي العام فإنه لا بد من إعطاء أهمية كبيرة للعلاقة البيفردية يوجد أفراد ضمن المجموعة يعلقون ويشرحون ويبدون آراء بينما الغير يسمع لهم ويتأثر بهم أكثر مما يتأثر بوسائل الإعلام مباشرة وهم الذين يعرفون بزعماء الرأي ؟ إنهم على درجة عالية من الوعي نشيطون ومهتمون بالسياسية، مستهلكون كبار لوسائل الإعلام. وغالبا ما يُعرفون من خلال تعليقاتهم وتحليلاتهم في هذه الوسائط الإعلامية.
إن دراسة الرأي تتطلب تحليل القيم الخاصة بالفرد والقيم السائدة في المجتمع.
المظاهرت

من بين وسائل التعبير عن الرأي العام هناك المظاهرات وهي ذات أهمية بالغة فمنذ ظهورها كانت نواياها سياسية. كان ذلك في أوروبا في منتصف القرن19.
"انها انتقال جماعي منظّم على طريق عام لإحداث وقع سياسي بالتعبير السلمي عن رأي أو مطلب" أما التجمّع فهو ثابت في المكان. وإن كانت مرخصة يمكن أن تتحول مظاهرة ما إلى حركة شغب كما أن تجمعا ما بإمكانه أن يتحول إلى مظاهرة. تسعى المظاهارات كوسيلة تعبير عن الرأي إلى الظهور أمام جمهور الناس عن طريق إختيار مكان التجمّع للإنطلاق (ساحة عامة أو تقاطع طرق رئيسي أما أمام مبنى حكومي ذو أهمية وطنية) ثم إتباع مسار كثيف السير، وأخيرا اختيار نقاط توقف أو نقطة الوصول. حتى تؤمّن أكبر انتشار إعلامي لها.
ومهما كانت سليمة ومنظمة كانت تزعج السلطة، إلا إذا كانت هي الداعية لها. فهي لا ترى فيها إلا انتقاصا لإرادة الشعب المعبر عنها في الانتخابات. وفي النصف الأول من 20 أصبحت المظاهرات من عادات المجتمع السياسية المعترف بها. وانتشرت كوسيلة تعبير عن الرأي . لا تزال المدن الكبرى خاصة العاصمة لما تمثله هذه من وزن سياسي مكانها المفضل. فالمتظاهرون يعرفون ان وسائل الاعلام تساعدهم في إيصال مطالبهم إلى معرفة الشعب الناخب والرأي العام. وقد تخترق المظاهرة من قبل جهات أخرى لتشويها.